الرسالة القومية

●

س — ١ — هل انت قومي وما معنى ان تكون قومياً ؟

ج — — نعم انا قومي، ومعنى ذلك، انني عربي مؤمن بعبقرية امتي وبحقها في الحياة حرة ، مستقلة ، موحدة . ومؤمن بمستقبلها العظيم ، وبانني واخواني القوميين العرب ، بناة هذا المستقبل، واننا رسل البعث العربي القومي ، والعظمة القومية ، ورسل الحق والقوة ، ورسل الخير الى العرب ، ثم الى الناس كافة .

ومعناه، انني اعتبر كل عربي، مهما يكن منشئوه، ومهما تكن عقيدته الدينية ، اخاً لي ، متمما لقومي . وانني افهم المصلحة العامة واحترمها واعمل لهـا ، وانني اقدس الحق والبطولة والتضحية . واقدس العمل والواجب ، واحب النظام واتقيد به . واطيع رؤسائي واعتني برؤسيّ . وانني حارس العروبة ، احميها باخلاقي واقوالي واعمالي ودمي . فلا اقول الا الصدق ، ولا اعمل الا للحق ، ولا اخاف الا الله . وانشر هذا في اخواني العرب اجمعين .

س – ٢ – ما الذي يريده القوميون العرب وما هي رسالتهم ؟

ج – – رسالة القوميين العرب ،هي رسالة القوة ، والحق،والخير والجمال ، الى العرب كافة . ويريد القوميون العرب ، من وراء ذلك ، ان يخلقوا من الناشئة العربية ، ذكورا واناثاً، جيلا قويا سليما ، متماثل الشعور ، موحد الاهداف ،صحيح التفكير ، عالي الهمة ، متين الاخلاق ، بعيد المطامح ، شديد الكبرياء القومية ، بتهذيب . يحترم نفسه ويقوم بواجبه . ويعمل لانشاء كيان قومي عربي قوي، يستند الى القومية الخالصة ، ويحارب الجهل ،والفقر والمرض، والظلم، وكل عصبية الا العصبية القومية ، جيلاً يفصل الدين عن السياسة ،ويحرم على رجال الدين الاشتغال بها . ويعلم العربي اينما كان ،ان يتعصب بعنف لامرين : قوميته والحق .

العربي والاقطار العربية

●

س — ٣ — من هو العربي ؟

ج — — العربي هو كل من كانت لغته اللغة العربية [١] .

س — ٤ — إذن فالذين يتكلمون العربية من انكليز وفرنسيس والمان واميركان واتراك وفرس وغيرهم ... كلهم عرب في نظركم ؟

ج — — كلا . فان هؤلاء وان تكلموا العربية ، فاللغة العربية ليست لغتهم ، وحكمهم حكم العرب ،الذين يتكلمون الفرنسية والانكليزية والالمانية والتركية والفارسية ،وهم ليسوا فرنسيس ولا انكليز ولا المانيين ولا اتراكاً ولا فرسا .

س — ٥ — ما هي الاقطار العربية ؟

ج — — الاقطار العربية هي الشام « سورية ، لبنان ، فلسطين ،

(١) كان المرحوم الشهيد عبد الوهاب الانكليزي يقول : كل من شاء ان يكون عربياً فهو عربي ... وقد حدّثني احد كبار رجال النهضة العربية المؤمنين الاستاذ الكبير عارف النكدي انه سمع هذه العبارة من الشهيد المرحوم الامير عارف الشهابي .

شرق الاردن». والعراق ويتبعه الكويت. والحجاز ونجد وملحقاتها: « المملكة العربية السعودية » ، واليمن بما فيها عدن وحضرموت ، وكل ما يسمونه المحميات . والبحرين ومسقط وعُمان ، هذا في آسية . ومصر والسودان وليبية ، وتونس والجزائر ومراكش في افريقية .

س — ٦ — أتكون هذه الاقطار كلها للعرب . وتؤلف وطناً واحداً هو وطننا نحن العرب ؟

ج — — نعم . ان هذه الاقطار كلها للعرب ، تؤلف وطناً واحداً هو الوطن العربي ، وطننا الكبير جميعاً .

س — ٧ — ولكن اهل قطر ما ، من هذه الاقطار ، ألا يعتبرون قطرهم وطناً لهم ؟ ولنأخذ اليمن مثلا أو بالحري مصر ، ألا نقول لابن مصر ، مصري ، أليست مصر وطن المصريين ؟

ج — — بلى . من غير شك . ولكن لما ان المصريين عرب كاليمنيين والعراقيين والشاميين ، اهل « الشام » (سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن) وغيرهم من اهل الاقطار العربية ، فيكون قولنا « مصري » إنما هو تعريف جغرافي موضعي ضيّق خاص ، اي انه عربي يقطن مصر . كما نقول فلسطيني او لبناني او الخ ... وما نسبة مصر ، الى وطننا العربي الكبير ، إلا كنسبة بريتانيا مثلاً ، ونورمنديا وبيكارديا الفرنسيات الى الوطن الفرنسي الكبير ، او كنسبة بافاريا مثلاً ، اوبروسية ، او النمسا الالمانيات ، الى الوطن الالماني الكبير . فالمصري عربي

(٢)

كما ان النورماندي او البيكاردي أو البريتاني فرنسي . وكما ان البافاري او البروسي او النمساوي الماني . وهكذا نقول في بقية العرب ، كالعراقي نسبة الى العراق والسوري [1] نسبـــة

(١) ان البقعة العربية المعروفة بـ « سورية » لم يذكرها اجدادنا الا باسم الشام او الديار الشامية « سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن » في كل مخلفاتهم ، في انتاجهم الادبي والعلمي ، وفي الاسفار التي تحمل اخبارهم وشؤونهم الحربية والسياسية ، الداخلية منها والدولية . ونرى ان « الجزويت » انفسهم يسمون هذه البقعة : برّ الشام « المنجد ، ص ٢٣٤ ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٩٣٧ » والشام اسم للقطر كله ، كما هو اسم لدمشق المدينة وحدها . وذلك مثل اسم مصر فهو اسم للقطر كله ، كما هو اسم للقاهرة ، المدينة وحدها .

وعن « الضحى » الجزء السابع ، السنة السادسة :

« الشام » هو الاسم الذي يطلقه العرب ، على هذا القطر العربي ، الذي يسميه الغربيون « سورية » . جاء في دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ، والبستاني لبناني صميم ، ومن لبنان القديم ، في مادة « سورية » ما يأتي :

يحد سورية شمالا ، آسيا الصغرى ، وجنوباً الثغر الفاصل بينها وبين مصر ، وشرقاً الفرات والبادية ، وغرباً البحر المتوسط .

اقسامها — تنقسم لهذا العهد الى ثلاث ولايات هن : ولايات حلب ، وسورية ، وبيروت . ومتصرفيتين هما : لبنان ، والقدس الشريف .

مدنها — اهم المدائن السورية : حلب ، واسكندرونة ، وانطاكية ، واللاذقية ، وحماه ، وحمص ، وطرابلس ، ودمشق ، وبيروت ، وصيدا ، وصور ، وعكا ، وحيفا ، ويافا ، والقدس ، ونابلس ، وصفد ، وطبريه ، والناصرة ، والعريش .

وجاء في الجزء نفسه مادة « الشام » — (ويراد بالشام عند العرب نفس

الى سورية ، واليمني نسبة الى اليمن ، والحجـــازي نسبة الى الحجاز ، وهكذا...وهولاء كلهم عرب ، نُسبوا نسبة موضعية ضيقة ، الى البقاع التي يقطنونها . فالقومية العربية تجمعهم ، والوطن العربي كله وطنهم .

س — ٨ — ان هذه الاقطار ، لغتها العربية فعلاً ، ولكن اهلها ليسوا كلهم من سلالة واحدة عربية . ولا هم ، لهم دولة واحدة ، فكيف يمكن ان نعتبرهم كلهم ، ابناء امة واحدة ، ووطن واحد ؟

ج — — ان هذا السؤال كان ضرورياً جداً ، لان في الجواب عنه خيرا كثيراً للعرب اجمعين ، ومفتاحاً في ايـــدي القوميين الحقيقيين ، جنود العروبة ، ومن يؤمن ايمانهم ، يفتحون به للحائرين من العرب ، وللشعوبيين منهم ، ابواب المعرفة بالامة وبالقومية ، استناداً الى العلم والتاريخ ، والى فلسفة المجتمع . والجواب عنه هو هذا .

الامة

ان الامة غير الدولة . والمجموع القومي غير المجموع السلالي . وها نحن أولاء نحدد علمياً ما هي الامة الواحدة التامة :

ما يراد بسورية عند الافرنج) . وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي : « الشام » تُذكّر وتؤنث ، وحدّها من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، وعرضها من جبل طي من نحو القبلة ، الى بحر الروم . وجاء فيه عن سورية : (واما سورية فوضع بالشام بين حلب وسلمية . والعامة تسميه « سورية » بالتشديد .)

ان الامة الواحدة التامة ، هي الجماعة من الناس التي تتوفر لها وحدة اللغة والتاريخ والادب ، والذكريات والتقاليد ، والمنافع والمطامح — وقالوا ووحدة الارض[1] — والشعور المشترك بالمفارح والمآسي ، وبعزّ الظفر ، وذل الانخذال ، مما يميّز هذه الامة عن تلك، ويجعل منها امة واحدة تامة . لا يوجد بينها وبين غيرها من الامم إلا صلة الانسان بالانسان، وما هو مشترك بين الناس كافة . وليست وحدة السلالة شرطاً في تكوين الامة الواحدة ، ولا قيام الدولة الواحدة ،بشرط لوجود هذه الامة .

نقص في الوعي

ولا ننكر ان وجود الامة في مثل هذه الحال، أي محرومة من دولة تجمع شملها، وتوحّد ارضها، معناه انها ليست واعية تماماً. وكثيراً ما يقع ان امة واحدة ، تكون مبعثرة ومجزأة ، ولها دويلات متعددة ، كما كانت الحال في ايطالية ، مثلا، وفي المانية وفي فرنسة وغيرهن، فيكون ذلك، نتيجة ضعف الشعور القومي

(١) يمكننا ان نلاحظ انه قد تطغى امة على امة اخرى، وتسلبها ارضها فتصبح مشتتة مشردة، ومع ذلك تبقى، اذا كانت ذات تاريخ مجيد، وذات حيوية ومناعة ، امة واحدة تامة ، وعليه فلا تكون وحدة الارض شرطاً لوحدة الامة . وهي شرط لوحدة الدولة . مثال ذلك الامة البولونية . والامة الارمنية .

العام ، ونتيجة الوطنية المحلية ، الضيقة ،المسببةعن مطامع ذاتية خاصة ، عند بعض الاقطاعيين ،وبعض اصحاب الوجاهة والنفوذ ورجال الحكم ، وعن الجهـل والتضعضع وقصر النظر وركود الطموح . وعليه فان اهل الاقطار العربية التي تؤلف الوطن العربي الكبير ، يؤلفون بمجموعهم — رغم تبعثرهم وتعدد دويلاتهم — امة عربية واحدة ، بفعل العوامل التاريخية والادبية واللغوية والاجتماعية ، وحكم الحالات الباقية التي ذكرناها ، والمتوفرة لهم جميعاً . ولا نقول بحكم الدم الواحـد ، وان توفر هذا لهم اكثر من توفره لغيرهم من الامم المتمدنة . ولكي نزيـد الامر وضوحاً نفصل ما ورد في هذا الجواب مجملاً ، فنقول :

وحدة اللغة

ان اهل الاقطار العربية التي ذكرناها ، وقلنا انهـــا تؤلف الوطن العربي ، تتمتع كلها بوحدة اللغة ، فان لغـة هذه الاقطار كلها ، اللغة العربية ،فاذا قيل مثلاً: ان ابن الشام ،لا يفهم لغة ابن العراق ، وان هذا ،لا يفهم لغة ابن مصر ، الذي لا يفهم لغة ابن الجزيرة ، وان هذا لا يفهم لغـــة ابن مراكش أو تونس أو الجزائر ، قلنا ان هذا الاعتراض غير وجيه ، ولا هو في محله ، لانه يتناول اللغة العامية التي تستعملها اوساط معينة ، والمقصود بوحدة اللغة ، اللغة الفصحى ، وهذه اللغـــة هي لغة اهل تلك الاقطار جميعاً من مراكش الى البصرة .

يخطب ابن بنونه او ابن الناصري او ابن الثعالبي في المغرب ، فتموج لخطابه ملايين العرب في الشرق وفي الغرب . ويكتب عبد الرحمن عزّام او عباس محمود العقاد او احمد الزيات او محمد حسين هيكل او ابرهيم عبد القادر المازني او زكي مبارك ، في مصر ، فصلا او مقالا ، فتهتز له نفوس ملايين العرب في الشرق وفي الغرب . ويرسل بشارة عبد الله الخوري في لبنان ، او عمر ابو ريشة او بدوي الجبل في « الشام » ، ورضا الشبيبي او علي الشرقي او احمد الصافي ، في العراق ، قصيدة ، فتمشي لها القلوب في صدور ملايين العرب في الشرق وفي الغرب ، وهكذا . . . فضلا عن ان هذه اللغة العامية نفسها ، لا تختلف الا في القليل القليل من المفردات ، وانها بفضل المواصلات الحديثة ، التي سهلت لاهل كل قطر ، الاختلاط باهل القطر الآخر ، اصبحت تكاد تكون مفهومة من الجميع . واما اللهجة ، فلا نخال احداً مهما يكن من سوء نيته ، وقلة معرفته ، يحتج بها ، فان بين محلة واخرى من مدينة واحدة ، شيئاً من الفرق في اللهجة ، ثم ان اللغة العامية في كل قطر ، هي الى الزوال اقرب منها الى البقاء ، بفضل الرقي الاجتماعي المطرد ، الذي يتناول مختلف الاوساط ، كما نشاهد ذلك باعيننا في اوساط الشام . ويطّرد هذا الرقي ، على درجات متفاوتة في كل قطر . ويجب ان لا ننسى ، ان في كل وطن من اوطان البشر ، مثل ما في الوطن العربي ، ففي فرنسة مثلا ، كما يعرف الذين زاروا فرنسا او قرأوا عنها ، فريق من الفرنسيين الذين

يقطنون بعيداً عن المدن ، يكادون يحتاجون الى تراجمة بينهم وبين سكان المدن ، ولا سيما في باريس . ولا يعني هـــذا انهم يتكلمون لغة مستقلة عن اللغة الفرنسية تماماً ، ولكنها على كل حال ليست اللغة الفرنسية الفصحى ، ومع ذلك لم يقم من بين الفرنسيين ، من يقول ان في فرنسا امما متعددة. هذا من ناحية اللغة والادب .

الناحية التاريخية

اما من ناحية التاريخ ، فان احداً من اهل هذه الاقطار ، يعرف تاريخ بلاده ، لا يرى مـــا يفصل قطرا منها عن الاخر تاريخيا ، منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، فتاريخها كلها ، لا تنفك حوادثه آخذة بعضها برقاب البعض الآخر ، متصلة اتصال حلقات السلسلة الواحدة ، مما يحتم ان تكون ذكرياتهم ، ذكريات واحدة ، سواء ما يدعو منها الى الفرح ام الى الحزن ، والى الامـــل ام الى الالم ، والى الرضى ام الى الغضب ، والى الحنين ام الى الحقد ، والى الاعتزاز والفخر ام الى غير ذلك من احساسات .

العادات والتقاليد

واما من ناحية العادات والتقاليد ، فان هـــذه التقاليد والعادات ، تكاد تكون واحدة في جوهرها حتى الان ، رغم ما منيت به هذه الاقطار ، منـذ مئات السنين ، من تفكك ، ومن

عزلة ، كل واحد عن الاخر ، ورغم ماخضع له كل واحد منها، منفصلاً عن الاخر سياسياً، من الوان حكم الغريب الغاصب ، بعد ان غُلبت الامة العربية على امرها، وذهب سلطانها . وليس الاختلاف الذي نراه بين قطر وقطر من الاقطار العربيـة ، في العادات والتقاليد ، سوى اختلاف سطحي ، يتناول ظواهر الامور دون بواطنها ، وقشورها دون لبابها ، ويتصل اكثر ما يتصل ، بطرق المعيشة وطرز اللباس ، وهو ناتج عن اختـلاف طرق التعليم والتربيـة « وطرق التجهيل » التي اكثر من يضعها منذ زمن طويل ، ويتصرف بهـا ، الاجانب الغاصبون ، من مستعمرين ورسل استعمار ، ومبشرين ، وعن ان نصيب هذا القطر، من المدنية الحديثة ، فوق نصيب ذاك القطر ، او ان قسط هذا القطر ، من العلم ، دون قسط ذلك القطر ، وهكذا ... وما عدا ذلك ، فليس من اختلاف في التقاليد والعادات ، ولا سيما ما يتصل منها بقرارة النفس ، واصل الطبيعة العربية ، ونسوق على ذلك امثلة معينة ، يقيس عليها غيرها من يشاء .

اولا — قضية الضيافة ، التي يتساوى النظر اليها عند العرب جميعاً ، في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء .

ثانياً — قضية العرض ، الذي يقدسونه جميعاً في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء .

ثالثاً — قضية تفاخرهم بالشجاعة ، والعفة والكرم والنجـدة وحماية الجار ، والوفاء وما الى ذلك ، في كل قطر من اقطارهم من

دون استثناء .

رابعاً – قضية اخـــذهم بمشيئة كبرائهم ، وتصنيفهم هؤلاء الكبراء ، في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء[1] .

الميول والرغبات والامال

اما الميول والرغبات والآمال بشأن مصيرهم السياسي ، وغيره فهي واحدة في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء[2] . خذ لك مثلاً الحادثة التالية : كنت عضواً من اعضاء المؤتمر الاسلامي العالمي ، الذي عقد في القدس سنة ١٩٣٢ ، والذي ظهرت فيه العصبية العربية ، بقوة ملحوظة ، وترتب على ظهورها بتلك القوة ، امور ، ليس ذكرها من شأن هذا الكتاب ، وقد رأى ممثـــلو العرب في اجتماعهم هذا ، فرصة ، أبوا الا ان ينتهزوها ، لعقد مؤتمر عربي ، بعد أن يفرغ المؤتمر الاسلامي من اعماله ، وقد انتهزوا هذه الفرصة فعلا ، وفوضوا الى لجنة منهم – كنتُ احد اعضائها – وضع لائحة تحضيرية لمؤتمر عربي . وفي احد اجتماعات اللجنـة ، تناقش اعضاؤها في مادة من مواد اللائحة ملخصها : (ان البلاد العربية التي سُلخت عن السلطنة العثمانيـــة بعد الحرب العالمية الكبرى وحدة لا تتجزأ) فاعترضت على هذا التحديد ، وشاركني في الاعتراض ، نفر من اعضاء اللجنة ، طالبين حذف

(١) الكلام على الكيفية وليس على الكمية .

(٢) هذا من حيث النوع وقد تتفاوت الدرجات .

هذه الفقرة : (التي سلخت عن السلطنة بعد الحرب العالميـــة الكبرى) على اعتبار ان هناك بلاداً عربية غير هذه التي سلخت عن السلطنة العثمانية ، (بعد الحرب العالمية الكبرى) . غـير ان الاكثرية ، ارتأت ان تبقى المادة كما هي ، فبقيت. وفي اليوم الثاني لاجتماع اللجنة الاخير ، عُقد المؤتمر العربي ، وكان يضم ما لا يقل عن ستين الى سبعين شاباً من شبان العرب ، في آسية وافريقية . ووضعنا بين يديه اللائحة التحضيرية ، فقرأها احـد أمنـــاء المؤتمر ، لكي يبحثها المؤتمرون بنداً بنداً . فما ان قرئت هذه العبارة : « ان البلاد العربيـــة التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب الكبرى وحـــدة لا تتجزأ) حتى وثب الى وسط المؤتمرين ، بخفة النمور ، وفي لحظة واحدة ، ثلاثة شبان من اعضاء المؤتمر ، كأنما كان الواحـد منهم مشدوداً الى الآخر ، لايستطيع الانفكاك عنه ، وصاحوا بلسان واحد : ماذا ؟ فاشرأبت الاعناق الى المفـــاجئين ، وكاد المؤتمرون يلتهمونهم بعيونهم التهاماً .

ودهش الرئيس لحظة ، ثم انبسطت اسرّته ، واخذ يُسكّن من فورتهم في لطف ، وسرى التساؤل بين المؤتمرين في لهفة ، بسرعة البرق : من هـذا ؟ ماذا يريدون ؟ فاذا هم من شبان العرب في افريقية الشمالية . اذكر منهم حتى الآن ، محمد المكي الناصري .

---

(١) عُقد المؤتمر العربي في دار الاستاذ عوني عبـد الهادي في القدس وترأسه المرحوم السيد رشيد رضا .

أما ماذا يريدون ، فقد تولى احدهم بسط ما يريدون ، قال :

ان بلادنا ليست من البـــلدان التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب الكبرى ، ومع ذلك فهي بلاد عربية ، فالى من تتركونها ؟ ونحن عرب مثلكم ، فلمن تريدون ان تتخلوا عنا ؟ ومن منكم يحمل التبعة في تسجيل هـــذا الامر ، في مؤتمر عربي قومي ، أمـام سبعين مليوناً من العرب ، وأمام الاجيال المقبلة ، وأمام العالم باسره ؟

ومن البديهي القول ، ان الفقرة المذكورة ، بعـــد هذا الاعتراض المؤثر ، المستند الى الحقيقة والواقع ، طارت . وان المؤتمر ، استقبل الامر بالمتاف لهؤلاء الشبان وللامة العربية ، والبلاد العربية قاطبة في آسية ، وافريقية . حتى ان بعض المؤتمرين ، لم يملك نفسه من بكاء الفرح والاعتزاز .

اليس في هذه الامور التي بيناها ، ما يثبت اثباتاً قاطعـاً ، لامرية فيه ، ان اهل الاقطار العربية التي مرّ ذكرهـا ، في آسية وافريقية ، انما يؤلفون امة عربية واحـدة ، رغم تبعثرهم وتعدد دويلاتهم !!!

الدولة الواحدة

اما العوامل التي يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة ، لامة واحدة ، فاذا قلنا انها غير متوفرة كلها حتى الساعـــة ، للامة العربية ، فيكون قولنا صحيحاً ، والا لكانت تألفت هذه الدولة .

ومن اجل هذا وغيره، يعمل العاملون المؤمنون من العرب، في كل مكان .

س — ٩ — لقد عرفنا ما هي الامـــة الواحدة التامة ، وآمنا بعد تحديدها ، وبعد تبيان حال اهل الاقطار العربية ، بان هولاء ، إنما يؤلفون بمجموعهم ، امة واحـــدة تامة ، فما هي العوامل التي يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة ، لامة واحدة ؟

ج — ان هـذه العوامل ، تكثر وتقل ، وتختلف وتتفق ، بالنظر الى وضع كل امة . على اننا والمراد في بحثنا هـــذا ، امتنا العربية ، نستطيع ان نحصر هذه العوامل مبدئياً فيما يلي :

اولا — وقبل كل شيء . الوعي القومي .

ثانياً — توفر القادة الاذكيـــاء المخلصين ، اصحاب الكبرياء القومية ، المنزّهين عن الدنايا .

ثالثاً — تبنّي إحدى الدول العربية القائمـــة ، فكرة انشاء كيان قومي عربي موحد ، واعتبارها نفسها — من هذه الجهة — من العرب ، كما اعتبرت بروسية ، مثلا ، نفسها من الالمان ، فوحدت المانية . وبديهي ان تقوم الدعاية في مثل هذه الحال — والدعاية المنظمة المخلصة سلاح قوي جداً — للدولة وليس للحكومة . وللامة وليس للاشخاص ، ومتى وجدت هذه الدولة فعلا — ولعلها موجودة — تحتم عليها التوسل لبلوغ هـــذا الغرض بوسائل ، سنأتي على ذكرها في المكان المناسب من هذا الكتاب .

الأمة العربية وتقية الأمم

●

س — ١٠ — لماذا يزعم بعض الناس ان السوريين واللبنانيين — حسب التعريف الحاضر — والمصريين واهل افريقية الشمالية ليسوا عربا ، وهل زعمهم هذا صحيح ؟

ج — — كلا . انه غير صحيح . والذين يزعمونه ، انما يفعلونه لتفكيرهم السطحي ، وجهلهم ، او تجاهلهم العوامل والحالات التي تكوّن الامة ، وتوحد الناس في القومية ، او ذهابا مع مآرب ذاتية ، واغراض شخصية ، تعمي بصائرهم ، وتوقعهم في الضلال والتناقض ، واليك البيان :

ان الذين يزعمون هذا الزعم المجرم ، يستندون استناداً سطحياً لا قيمة علمية له ، الى ان (سورية) اي الشام [1] ، سكنها فيما

---

(١) ديار الشام ، او الديار الشامية ، او بر الشام ، او الشام باختصار ، ترجو ان يفهم منها القارىء : (سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن) كما هو الواقع ، من دون شرح بعد الان .

مضى من التاريخ البعيد، شعوب[1] كلدانية وعمورية وكنعانية واشورية وارامية وفينيقية الخ ... وعليه فيجب ان يكون اهلها، كلدانيين وعموريين وكنعـــانيين واشوريين وارامين وفينيقيين...

وبالتالي سوريين[2] نسبة الى الارض – غير عرب !!!.

وهذا خطأ علمي تاريخي واجتماعي، قبيح جداً، ان نحن اخذنا به، بعد الذي ثبت لنا وبيناه من العوامل، لتكوين الامة الواحدة التامة، نكون اغبياء أو مضلّلين، ولن يبقى في امم

---

(١) ان اطلاق كلمة « شعوب » على هؤلاء الناس فيه توسع لا مبرر له ينكره العلم . والصحيح انها قبائل وليست شعوبا .

(٢) ان الاب المحترم (لامنس اليسوعي) ، يسمي معاوية الكبير ، الخليفة ، والملك العربي القرشي ، ومؤسس الاسرة الاموية المالكة (الخليفة السوري !! .) فهل سمع احد في التاريخ بمثل هذا !! أوَليس هذا وحده كافياً للتدليل على نية هولاء المستشرقين المؤرخين ، وقيمة بعض نظرياتهم وارائهم العلمية ؟ واذكر ان اسم كتابه التاريخي هذا (تاريخ سورية ولبنان) . ان هذا التاريخ وحده، الذي يسمي مؤسس الدولة العربية العنصرية الوحيدة، بين الدول العربية (الخليفة السوري !!) انه وحده ، كاف لحمل من يشك في عروبة السوريين واللبنانيين ، اليوم ، على الاعتقاد بانهم عرب . فالذي يجرؤ على تسمية معاوية بن ابي سفيان العربي القرشي الاموي المكي «سوريا» ، لان عاصمة ملكه كانت دمشق ، ليوهم الناس ان السوريين غير عرب ، يثبت عكس ما يريد . ويدعو هذا الى الخاطر الاية الكريمة :

(يريدون ليُطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره) . .

الارض اليوم ، امةواحدة يصح ان تسمى امة . ثم يصبح كل قطر من الاقطار العربية ، امة قائمة بنفسها ، ذات قوميـــة (ارضية) جغرافية خاصة بها ، ولكنها تكون امة مزيفـة . ولن يبقى في الدنيا امة عربية ، او قوميةعربية — وهذا مـــا يرمي اليه الاعاجم المستعمرون ، ودعاة السوء المأجورون من خبثاء عابثين وسذّج مخدوعين — اذ انه ليس هناك ارض بعينها، اسمها عرب ، لنقول (عربي) نسبة الى هـــذه الارض (١) والقومية عند هؤلاء يظهر انها (ارضية) والامة عندهم كذلك ارضية ، انهم يرمون الى تقطيع اوصال البلاد العربية ، وتفكيك اجزائهـــا ، وتمزيق شمل ابنائها ، وتصويرهم غرباء بعضهم عن البعض الآخر ، ثم اعداء بعضهم للبعض الآخر ، وهكذا يسهل على الدول الاستعمارية ، القضاء على النهضة العربية التي تزعجهم ، وتهدّد سلطانهم ، على الوطن العربي بالانهيار ، ويتمكنون من تحطيم العرب واستعمار بلادهم الى الابد . ونحن على يقين ان هذا لن يتم ابداً ، ما دام في الدنيا عربي ، وما دام هناك حرس العروبة ، ومن يؤمن ايمانهم .

وهذه الامم

وليست المسألة مسألة قول وهوى ، كلا ، بل هي مسألة علم

---

(١) لقد سمى مؤرخو الفرنجة (اليمن) العربية السعيدة .
« L'arabie Heureuse »

وعقل ، وتاريخ ومصلحة عامة . ونحن نستطيع أن نعطي انصع البراهين ، واقوى الحجج على ان الصواب والحق في جانبنا حينما نقرر، ان اهل الاقطار العربية ، كلهم عرب قومياً [1] ان لم يكن عنصرياً، قوميتهم القومية العربية [2]. وهم اغصان لشجرة واحدة ، هي الامة العربية. وفي تحديدنا الذي مرّ بك لمعنى كلمة (الامة) هذا التحديد الذي يقرّه علماء التاريخ والاجتماع ، ما يدل على صدق هذا القول وصوابه . وفوق ذلك، بماذا يجيب هؤلاء الشعوبيون، من خادعين ومخدوعين، وهم من العرب، ويالاسف، سواء أكانوا مصريين ام يمنيين ام عراقيين، ام شاميين ، ام الخ... نسبة الى الارض — اذا نحن سألناهم مثلا، عن الامم التالي ذكرها: الامة الانكليزية ، الامة الايطالية ، الامة الالمانية ، الامة الفرنسية ، والامة الاميركية [3] وقومياتهن. أيقولون أن هناك امة بافارية وامة بروسية ، وقومية بافاريه وقومية بروسية ، غير الامة الالمانية والقومية الالمانية . وان هناك امة بيكاردية وقومية بيكاردية ، وامة بريتانية ، وقومية بريتانيه ، غير الامة الفرنسية والقومية الفرنسية ، وهكذا على هذا السياق ، ام ماذا ؟ وقد كانت هذه الاقطار جميعها، شأنها ، شأن الامة العربية

---

(١) نقول قومياً ، وليس سلالياً او عنصرياً .

(٢) سيأتيك تحديد القومية جواباً عن سؤال : ما هي القومية ، في آخر هذا الفصل .

(٣) نعني ابناء الولايات المتحدة الاميركية خاصة .

اليوم ، مجزأة متفسخة ، متعددة الحكومات ، وكان اهلوها ، شأنهم ،شأن اهل هذه الاقطار ، اي شأننا نحن العرب اليوم ،وها هم اولاء الان ، أليسوا في ايطالية امة واحدة ، ووطناً واحدا . ومثلها في انكلترة وفي اميركة وفي فرنسة . ذلك انـــه ما كاد الشعور القومي ، يستيقظ عندهم ويصبح وعياً قومياً في نفوسهم ، ويتوفر فيهم القادة الاكفاء المخلصون ، حتى تلاشى في نفوسهم الشعور الوطني المحلي ، او الاقليمي الضيق ، واصبحوا سياسياً ودولياً ، كما كانوا في الواقع تاريخياً وادبياً واجتماعياً ،وطناً واحداً وامة واحدة ، فما الذي يمنعنا نحن العرب — ونحن اكثر اشتباك وشائج ومصالح منهم — أن يُفضي بنا الوعي القومي — بالمعنى المتواضع عليه اليوم — الى ما افضى بهم اليه ، والوسائل متوفرة والايام مسعفة ، ان نحن عقلنا ؟! .

س — ١٠ — ما هي القومية ؟

ج — القومية هي مجموعة من الخصائص ، والمزايا ، والطباع والتقاليد ،والعادات ،والفضائل ،والعيوب ،وطرق النظر الى الكون والنظم الاجتماعية ، تنطبع بالجملة ، على مرّ الاجيال ، وبدرجات متفاوتة ، من حيث الكم او القدر ،في نفوس قوم ، تعرف بهم ويُعرفون بها . وتجمعهم جامعة واحدة لغوية وادبية وتاريخية ، وروابط مشتركة ،من ذكريات وآمال ومصالح ومؤثرات اقليمية ، متممة بعضها للبعض الآخر ، من دون ان تقوم فيهم جميعاً ، الوحدة العنصرية .

موجات الجزيرة

●

س — ١١ — ولكن اليس صحيحاً ما يقولونه من ان شعوباً [1] حثية وعمورية وكلدانية واشورية وارامية وفينيقية الخ ... سكنت فيما مضى من التاريخ (سورية) زمنا طويلا ؟

ج — بلى ،ان هذا صحيح ، وما كنا لننكر الحقائق ، ونزور التاريخ تزويرا ، لاغراض ومآرب — كما يفعل بعض الناس — كلا ، اننا لا نفعل هـذا ولن نفعله ابدا . ان هذه البقعة من الوطن العربي (الشام) ، كانت مدة من الزمن ، مسرحاً لهذه

---

(١) سبق ان اشرنا الى ان هؤلاء الناس لا يصح ان نطلق عليهم كلمة (شعوب) وانما هم قبائل ليس غير .

القبائل التي يحتج بها اعداء النهضة العربية ، واعـداء العرب ، بعضهم عن خبث ومروق ، وبعضهم عن جهل وحسن نيـة ، ولكن هذه القبائل نفسها اكثرها بطون من العرب [1] ، ثم اين هي هذه القبائل، وما هو الارث الحي الذي خلفته ؟ انها لم تترك لها اثرا حيا على الاطلاق ، وقد تلاشت هي ولغاتها وعاداتها وكل ما يمت اليها بسبب .

لقد لاشتها العروبة الخالصة الجبـــارة التي لا تتلاشى ولا تموت. وسنفصّل هذا استناداً الى العلم، والى التاريخ الصحيح ، والى المنطق السليم ، والى الواقع الذي هو نتيجة تفاعل عناصر المجتمع ، وغلبة بعضها على البعض الآخر ، لتصدق — بالجملة — الحكمة القائلة : (لا يصح إلا الصحيح ولا يبقى إلا الاصلح).

كانت هذه القبائل (الكلدية والعمورية والكنعانية والارامية والفينيقية) واخواتها، تنزح من جزيرة البحرين ، ومن شواطيء البحر الاحمر، ومن بين النهرين [2] وبقية انحاء الجزيرة العربيه الى مصر ، والى بلاد الشام ، الدفعة بعد الاخرى، في الزمن البعيد جداً [3] وهي قبائل تمت الى العرق العربي بصلة ، كما اثبت ذلك

---

(١) (سايس) الانكليزي — اجرومية اللغة الاشورية . — (إشرودر) الالماني — مجلة الشرق الالمانية — سنة ١٩٣٨

(٢) « بت » الانكليزي .

(٣) ان اول الهجرات السامية ، وقعت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل المسيح — القبائل الكلدية — واخذت طريقها على ساحل البحر الاحمر ، فحول شبه

كبار المؤرخين، الذين لا يصح اتهامهم بالتغرض للعرب ، مثل العالم الانكليزي(سايس) والعالم الالماني (إشرودر)[1] فضلا عن مؤرخي اليونان . ويقول العالم العربي الكبير، الامير شكيب ارسلان ، مستشهداً باقوال المستشرقين من علماء التاريخ والاجتماع في هذا الصدد،ما معناه :(ان اكثر الشعوب السامية انما هي بطون من العرب . وان الاراميين كلمة معناها سكان الجبال —وقد قال ذلك المرحوم المؤرخ جرجي زيدان وغيره— وان الكنعانيين كلمة معناها ، سكان السهول ، وليس المقصود بالاراميين او الكنعانيين « امة » . اما السريان فهم الاراميون انفسهم ، سماهم اليونان سريانا ، وهؤلاء واولئك جميعاً يمتون الى العرب بصلة . كما انه يوجد في اواسط آسية ، الايرانيون والطورانيون ، وقد يتوهمونهم شعبين منفصلين نسباً ، مع انهم في الحقيقة من شجرة واحدة . واما معنى كلمة الايرانيين فسكان الحواضر ، ومعنى كلمة الطورانيين ، سكان البوادي) . ويتابع الامير الكلام ، فيقول مستشهداً (بهيرودوتس) اليوناني الملقب

جزيرة سيناء ، الى مصر ، فنزلتها على سكانها الحاميين ، وتولد من المزيج الذي حصل بين الفريقين،المصريون القدماء . وفي الوقت نفسه تقريباً ، تدفقت هجرة سامية ثانية، بطريق ساحل الخليج الى وادي دجلة والفرات (العراق) . وفي منتصف الالف الثالث قبل المسيح، قذفت الجزيرة العربية بموجة جديدة من البدو، وهم السمون (العموريون) ومنهم الكنعانيون الذين نزلوا جنوبي (سورية) والفينيقيون الذين نزلوا الشواطيء .

(١) راجع الصفحة ٣٥ من هذا الكتاب — تعليق .

هجانة

بـ« أبو التاريخ » وبالعلامة الانكليزي « بت » : (ان قسماً من الفينيقيين جاؤا من جزيرة البحرين ، وقسماً آخر من سواحل البحر الاحمر ، وعلى كلا الحالين فهم عرب من نفس جزيرة العرب) .

وقدقام العلامة الانكليزي« بت »بحفريات كثيرة، في جزيرة البحرين ، اثبتت له هذا . ويذهب العلامة « هيرخت » مؤلف كتاب « الحفريات الاثرية في القرن التاسع عشر » الى ان الملك « مالكي صادق » الذي كان يملك في « سورية » : الشام ، يوم جاءها ابراهيم الخليل ، كان عربياً .

ونحن نقول : فلنفرض ان هذه الحقائق، التي يثبتها المحققون من علماء التاريخ والاجتماع ، لا اصل لها ، او انها كلها اخطاء واوهام ، فان امامنا ما يثبت كون اهل الديار الشامية واهل مصر والسودان وافريقية الشمالية ، عرب ، لا قومية لهم الا القومية العربية ، مما لاتنفع فيه مكابرة ، ولا يوهن من بلاغة دلالته القوية ، تخرص او تفلسف، للتضليل ، وهو : الواقع . الواقع المُشاهد المحسوس الملموس المُفْحِم في اللغة والادب والاجتماع ، والتقاليد ، والميول ، والذكريات ، والامال ، والمطامح . هذا الواقع الذي هو مظهر من المظاهر ، لمخلفات اجيال مليئة بتفاعل العناصر، وتطاحنها ، في مقدمات نوجزها ،فيما يلي :

في زمن يرجع الى ما قبل الزمن المعروف تاريخه بجلاء ، سكنت الديار الشامية ، قبائل عرفت بالكلديين والعموريين

تأبير النخل

والكنعانيين والاشوريين والفينيقيين ، الخ ... ونريد ان نعتبر هذه القبائل كلها – خلافاً للحقائق التاريخية والاجتماعية التي اقرها العلماء – قبائل، بل شعوباً ، لا تمت الى العرق العربي بادنى صلة ، وانها غريبة عن العرب ، كالترك ، والفرس ، والطليان ، والالمان ، والانكليز ، والفرنسيس وغيرهم من الاعاجم . ففي ذلك الزمن نفسه ، سكن هذه الديار ناس ، اسمهم في التاريخ : عرب . اذ انه قد ثبت :

اولا – كون العرب – العرب بهذا الاسم نفسه – سكنوا « سورية » : الشام ، « من على عنق الدهر » – على حد تعبير العالم الجليل الامير شكيب ارسلان –، اي من اقدم الازمنة، كما قرر ذلك ، العلماء الذين استشهدنا باقوال فريق منهم .

ثانياً – انه بعد نزوح هذه القبائل ، من الجزيرة العربية الى الشام ، في فترات من الزمن مختلفة ، اندفقت من الجنوب الى هذه الديار ، في فترة من الزمن التاريخي الجلي جداً هذه المرة ، موجات عربية يمنية ، أسست في البلقاء (شرق الاردن) مملكة عزيزة ، ما يزال من اثارها حتى الساعة ، في وادي موسى وجرش ، ومأدبة ، وغيرهن ، ما يُدهش ويدعو الى الفخر[1] .

---

(١) أن الانباط الذين اسسوا هذه المملكة في البلقاء حوالي سنة ٥٠٠ قبل المسيح ؛ هم من عرب اليمن ، كما اثبت ذلك مؤرخو اليونان : هيرودوتس – القرن الخامس والرابع ق.م . وتيوفراست وبروسس – القرن الرابع والثالث ق.م – الذين استشهد بهم ، ونقل عنهم ، مؤرخو العرب فيما بعد .

ثالثاً — ان مملكة عربية في زمن تاريخي ، اكثر جلاءً هذه المرة ، تأسست في تدمر ، ما يزال الذين يعرفون تاريخ بلادهم من العرب ،يذكرونها بفخر . فقد بقيت هذه المملكة الى سنة ٢٧٢ ب.م. اي الى ما بعد استيلاء الرومان على الديار الشامية ، بثلاثماية واثنتين وسبعين سنة . اذ ان الرومان قد استولو على هذه الديار في السنة ١٠٠ ق.م.

واشهر ملوك العرب في مملكة تدمر ، كما هو معروف حتى الان ، الملك أذينة ، والملكة زنوبية . وفي سنة ٢٧٢ بعد الميلاد تغلب الرومان على الملكة زنوبية ،بما لا مجال لشرحه هنا ، ووقعت المملكة تحت « الانتداب » الروماني [1] ...

رابعاً — ان موجات عربية اخرى ، اندفقت على ديار الشام منها الغسانيون ، وهم من القبائل العربية اليمنية : « الأزد » فأسسوا فيها بعد مملكة تدمر ، مملكة ظلت كما هو معلوم ، زمناً

---

(١) كانت السلطات القائمة في سنة ١٩٤٠ قد اعتقلتنا ونفرا من كبار رجالات القضية العربية وكرامهم ، ونفتنا الى تدمر ، ووضعتنا في السجن . في ثكنة عسكرية لما يسمونه (فرقة الغرباء) ثم بعد نكبة فرنسا أخرجنا من السجن الى البلدة ،حيث بقينا في اقامة جبرية مدة من الزمن ، تيسر لنا خلالها ان نشاهد ، فيما شاهدناه من الاثار ، اثار المملكة العربية التدمرية . وانها في الواقع لاثار ضخمة بديعة ، ماتزال تنطق بعظمة العرب التدمريين ، وملكتهم العربية الجليلة زنوبية ، وتثير في نفس كل عربي يقع نظره عليها ، الشؤون والشجون .

طويلًا ، حليفة للرومان ، واذا قلنا ان هذه المملكة كانت تتأثر بالرومان ، نظراً الى وضع الغسانيين ، بالنسبة الى الرومان يومذاك ، فلا ينفي هذا ، انه كانت هناك مملكة عربية غسانية .

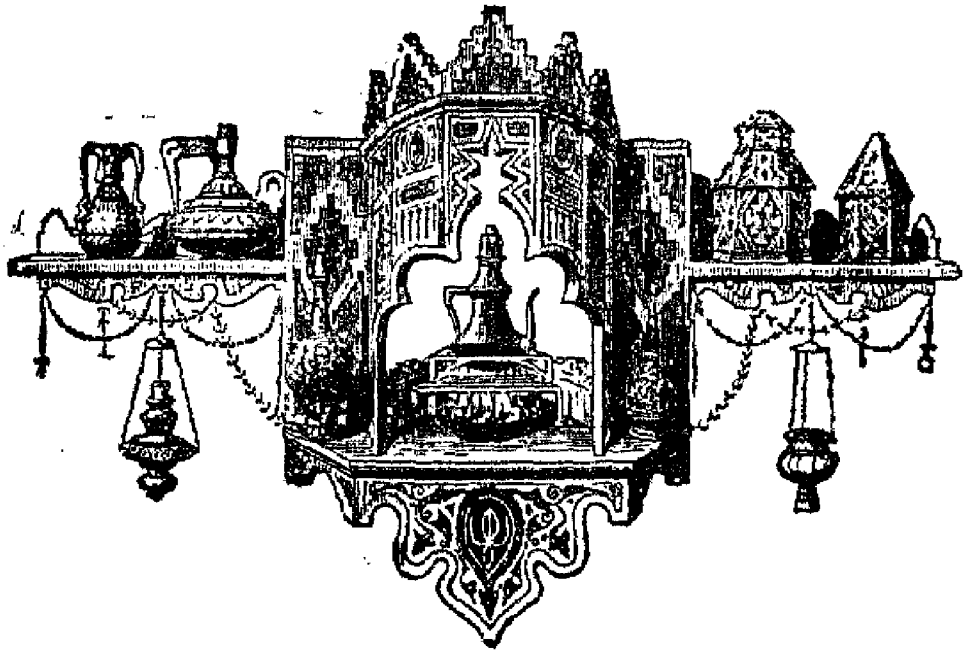

العرب بعد الرسالة

●

.... الى أن اندفقت هذه المرة ، الموجة العربية الكبرى الصافية المتبلورة ، في القرن السابع ب.م . وكان بها الفتح العربي الاخير الواسع ، الذي حرّر « الشام » ومصر، من نير الرومان ، كما حرّر « العراق» من نير الفرس، وحمل الى العالم كله ، رسالة الهـــدى والحرية وكرامة الانسان . فمن المفروض علمياً ، ان لم نقل من الثابت يقيناً — كما يشهد الواقع — ان تكون هذه القبائل العربية ، التي سكنت ديار الشام ، وغيرها من على عنق الدهر ، وهذه الدول العربية ، التي تعاقبت عليها ، من ايام « مالكي صادق » الى الفينيقيين والانباط ، الى الضجاعمة ، الى الغساسنة ، الى عرب بعد الرسالة ، كانت اقوى من غيرها ممّن سكن هذه الديار ، في كل ناحية من نواحي الحياة واصلح للبقاء ، فاثرت في تلك القبائل و (الشعوب) تأثيراً تدريجيـــاً عميقاً ، حتى انها لاشت لغاتها واداابها وثقافتها وتقاليدها ، ثم لاشتها هي نفسها ، فيما بعد ، فتلاشت. وبقيت لغة العرب المصطفاة ، واداب

العرب ، وثقافة العرب وتقاليد العرب ونُظُم العرب ، كما هو الواقع المُشاهَد المحسوس الملموس المُفحِم ، لانها أصلح للبقاء، فبقيت العروبة ، واستقامت القومية العربية ، في هذه الاقطار العربية جميعها .

المغالطات التاريخية والتضليل

س — ١٢ — الا يجوز ان يتشبث الشعوبيون ،وغيرهم ، بزعمهم ، رغم هذه البراهين والحجج ، لاغراض ومآرب في نفوسهم ، ويضللوا السذّج والجهلاء ، بما قد يستندون اليه ، من اقوال بعض المؤرخين المُغرضين ، أو غير المحققين ، لا سيما ، والامور التاريخيـة ، كما يُثبت الاختبار ،فيها أحيـانا شيء من الغموض ،ومن المغالطات ومن الهوى ، فما الحيلة في مثل هولاء ؟؟

ج — ان المفروض في مثل هذه الحال ، ان يأخذ العاقل ، باقوال المؤرخين البعيدين عن الغرض ، ويقضي العلم بان يُؤخذ بالقول التاريخي ،الاقرب الى المعقول ،والى ما يدل عليه الواقع ، فان بلغت الاهواء بُتغرض ما ، ان يكابر في دليـل الواقع ، بعد الادلة التاريخية ، وجب ان نهمله ، واذا اشفقنا عليه وبالغنا في التساهل معه ، في مثل حالتنا هذه سألناه :

اين اللغات الكلدانية والاشورية والفينيقية ، أو اين اللغة

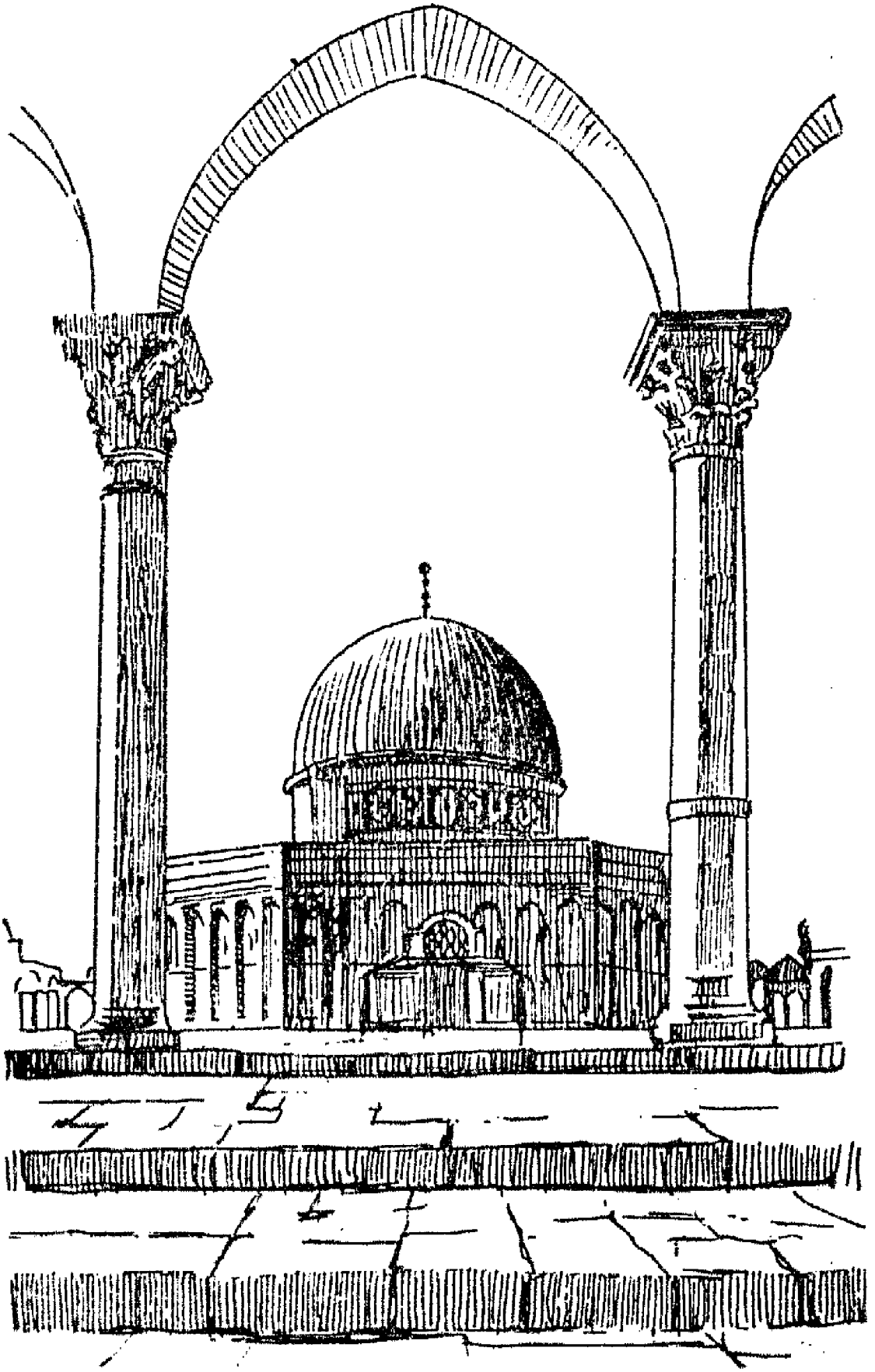

« السورية » أو « اللبنانيـة » أو « المصرية ـ الفرعونية[1] » ، واين آدابها وثقافاتها ، واين شرائع هذه الشعوب ، وتقاليدها ، وآثارها العلمية والفنية الحية ، وغير ذلك ، اين هي ؟ فان اصر على نكران ما اوردناه من الناحيتين ، مما يقضي العقل بان يكون ثابتاً ، من الوجوه التاريخيـة والعلمية ، أي ان يكون اهل الديار الشاميـــة عربا ، سواء أكان ذلك بحكم السلالة والعنصرية ، أم بحكم التعريب والصهر ، اللذين اوردنا على صحة وقوعهما الحجج والبراهين ، أم بحكم الامرين معاً ، ان اصرّ على النكران ، فمعنى ذلك ، ان هذا الناكر « المُصر » يعتقد ، أو يريد حمل الناس عـلى الاعتقاد ، ان الامة تزوّر تزويراً ، أو ترتجل ارتجالا ، أو انها غرسة ، نغرسها في التراب حين نشاء ، ونقتلعها حـــين نشاء ، لنغرس مكانها غرسة اخرى متى نشاء وكيف نشاء . ومن كان هـذا شأنه لا يُناقش ، فتيار الأمة يجرفه من دون أن يعبأ به ،أما نحن القوميين العرب ، ومن يرى رأينا من المؤمنين عن اقتناع علمي وعقلي ، بعروبة اهل هذه الديار ، والذين لا يسعنا ان نفتح اذاننـــا لتفلسف الشعوبيين وتخريجات المغرضين ، والذين نعلم علم اليقين ، ان مسألة كون « جماعة » ما ، من البشر امة واحدة تامة ، مهما يكن من تعدد منازلها ، وكثرة البقاع المنتشرة فيها ، وترامي اطرافها ، مسألة

(١) للفراعنة ، رغم ان ليس هناك لغة فرعونية ،ولا اثر فرعوني حي ، شأن . سنشير اليه فيما يلي من الصفحات .

لا تزوّر تزويرا، كما يزوّر المكتوب أو السند مثلا ، ولا تحصل بالطريقة التي يحصل بها صبغ ثوب ما ، تضعه في ماعون الصباغ فيخرج في الحال اصفر أو اسود ، كما تشاء ، وإنما هي فوق النسب والشعور ، مسألة عمل عوامل لغوية وتاريخية وثقافية واقتصادية وسياسية ، خلال قرون واجيال كثيرة متعاقبة ، أما نحن ،فما يسعنا الاعتقاد بمثل هذا ، ونربأ بعقولنا ونفوسنا عن مثله ، ويفعل فعلنا كل عاقل منصف . وما قلناه في اهل الديار الشامية ،ولا سيما بأهل لبنان، نقوله على القياس نفسه، في المصريين واهل افريقية الشمالية ، استناداً الى ما تقدم من مفعول العوامل التي ذكرناها ، هذا عدا ان اهل هذه الاقطار يشعرون مثلنا بانهم عرب ، ويفكرون مثلنا في الاتحاد العربي ، بالرغم مما يستعمله الغاصبون المستعمرون ، من مختلف الوسائل لاماتة الشعور العربي في نفوسهم . وقد اعطينا على ذلك مثلاً حياً[1] . وللشعور والارادة في مثل هذه الحال قيمة عظيمة جداً .

س — ١٣ — هل ان تعريب العرب لتلك القبائل و « الشعوب » ، وملاشاتهم للغاتهم ، وبالتالي صهر العرب اياهم ، في القالب العربي ، قد تم قبل الفتح العربي الكبير ، أم انه بقيت منهم بقية ، حتى هذا الفتح ثم ذابت في العرب بعده .

ج — — ان هذه « الشعوب » كما اثبتنا فيما تقدم ، كانت تنفعل بالعرب انفعالا تدريجياً ،وينصبغ فريق كبير منها بصبغتهم ،بالنظر

(١) راجع الصفحة ٢٥ — ٢٧ من هذا الكتاب .

الى توالي الموجات العربية البدوية من الجزيرة، والى تعاقب الدول العربية التي ذكرناها [1]، على الديار الشامية كما تقدم، على انه بقيت بقايا، ولا سيما في المدن، حتى الفتح العربي الاخير، محتفظة بشيء من خاصياتها. ومنها «الاراميون» الذين، يعرفون بالسريان، كما سماهم اليونان — ومعنى كلمة «اراميون» سكان الاعالي من الارض — وقد ذكرناه — وقد كان مصير هذه البقايا، كما يفهم من مؤرخي العرب، ومؤرخي الأجانب انفسهم بعد الفتح العربي الاخير، كما يلي:

فريق، قتل في المعارك التي دارت بين جيوش العرب المنقذين وبين جيوش الرومان، وفريق نزح مع الرومان المغلوبين والفريق الذي اختار البقاء بعد الفتح، هضمه العرب الاقحاح الخُلَّص — هذه المرة — فذاب فيهم ذوباناً تاماً، فيكون التعريب الشامل، قد تم بعد الفتح العربي الاخير. ولا سيما في مصر وفي افريقية الشمالية. ويكون اهل الاقطار العربية التي تقدم ذكرها، اصبحوا يؤلفون اليوم بمجموعهم، امة عربية واحدة تامة، رغم تعدد القبائل، والشعوب، التي سكنت كثيراً او قليلا، في الماضي، هذه الاقطار او بعضها، ورغم تبعثرهم في بقاع اختلفت اسماؤها، ورغم الحدود المصطنعة بين قطر وقطر، ورغم وضعهم السياسي وتعدد حكوماتهم، ورغم تسلط دول اجنبية

---

(١) راجع من الصفحة ٣٦ — ٦١ من هذا الكتاب.

مختلفة على جزء كبير من بلادهم .

س — ١٤ — ولكنه حدث بعد الفتح العربي هـذا ، وانشاء الدولة العربية الكبرى ،أن هبت على هذه الدولة عواصف فسّختها ، ووضعت على رأس الحكم في بعض اجزائها ملوكا وحكاماً غير عرب ، ثم استولى الترك على البلاد العربية ، وظلوا في بعضها بالاسم وبالفعل، مدة طويلة جداً ، فقد استمر حكمهم في الديار الشامية ، مثلاً ، اربعمائة سنة ونيّف ، أفلم يدخل على العرب خلال هذه المدة الطويلة عناصر غريبة ... فارسية ، وفرنجية ، وتركية ، وغيرها ؟!

ج — — بلى ، طبعاً ، على ان هذه العناصر ، لم تؤثر في العرب إلا بمقدار ، وتأثرت بهم . ونعني بقولنا « لم تؤثر في العرب »ان هذه العناصر، لم تستطع ان تؤثر في عروبتهم ، وظلوا يشعرون في قرارة نفوسهم ، بانهم عرب ، او كما يقول بعضهم « اولاد عرب » ويباهون بذلك [1] وكل ما طرأ على حياتهم من تأثرات

---

(١) كل واحد من اهل البلاد العربية ايّاً كان الاقليم الذي يعيش فيه ، والمذهب الذي نشأ عليه ، يقول لك حتى هذه الساعة عن نفسه « انه عربي » فيقولونها بتسكين الراء في افريقية الشمالية . وفي لبنان خاصة ، وفي بقية انحاء الديار الشامية عامة،يعرّفون عن نفوسهم بقولهم—ولا سيما في ديار الغربة— « اولاد عرب » وكان يُغني عن ذلك ،قولهم عربي وعرب . ولكن التعبير،آت كما نظن من اصطلاح الاتراك في الكلام على العرب، فكانوا يقولون «عرب اوغلو » اي ابن عرب . ومن غريب امر بعض الناس ، خصوصاً عندنا في لبنان، أنهم يستنكرون القول بانهم عرب، او يترددون فيه ، فاذا قلت لهم

لا بد منها بطبيعة الحال ، لاختلاط هذه الاقوام بهم ، صهروه ، ووسموه بسمة عربية . وقد اثر العرب من ناحيتهم ، في هذه العناصر وعربوها لغة وادباً وعاداتٍ وتقاليد اجتماعية ، وبالرغم من ان سيادة الترك الغاصبين ، في البلاد العربية ، كانت طويلة الامد اكثر من كل سيادة اجنبية اخرى ، فانهم لم يستطيعوا ان يتركوا عربياً واحداً ، في اثناء حكمهم الطويل . لقد استعمروا البلاد العربية سياسياً ، ولكن العرب في اثناء هذا الاستعمار قد استعمروهم ادبياً . فاذا كان الحكام السادة المُطلَقون انفسهم ، من اتراك وغيرهم ، لم يستطيعوا في هذا الصدد شيئاً ، فمايكون شأن غيرهم في هذه الناحية ممن كانوا رعية وهم قلّة ؟! وفي هذا وحده ما يدل دلالة واضحة جداً ، على هذه الخاصة العجيبة في العربي ، وهي انه في كل الاحوال يستطيع ان يُذيب في بحره كل احد ، ولا يستطيع احد ان يُذيبه . ونسوق مثلا على ذلك حاضراً محسوساً ، وهو هذا الواقع في الاقطار العربية كلها ، وبصورة خاصة في الديار الشامية ، وبصورة اخص في افريقية الشمالية ، حيث الاستعمار على اشده ، وحيث جزء منها « الجزائر » مر عليه تحت نير الاستعمار الجديد الذي يتعمد الاذابة ، اكثر من مائة سنة ، وما تزال ، رغم ذلك

ألستم اولاد عرب ؟ اجابوا من دون تردد « بلى لكن شو نحن » وفي مصر نفسها تندثر الفرعونية الموهومة ويستفيق اخواننا المصريون على عروبتهم

اصوات فيها تتعالى، واحزاب تؤلف في سبيل العروبة ، وانشاء دولة عربية . أفلا يقوم هذا شاهداً حياً ناطقاً على صحة ما نقوله ونُثبوته.. الا يدل على ان هذه الشعوب كلها قد انشعبت من شجرة واحدة ، هي الامة العربية ،لذلك فهي متساوية كلها تقريباً في قوة الخاصة العجيبة التي ذكرناها ، وفي الحنين الى العروبة ، والرغبة في انشاء الكيان العربي القومي الموحد ، أو الاتحاد العربي[1].

(و) قد يكون هناك تفاوت في الدرجة . وليس في النوع تفاوت .

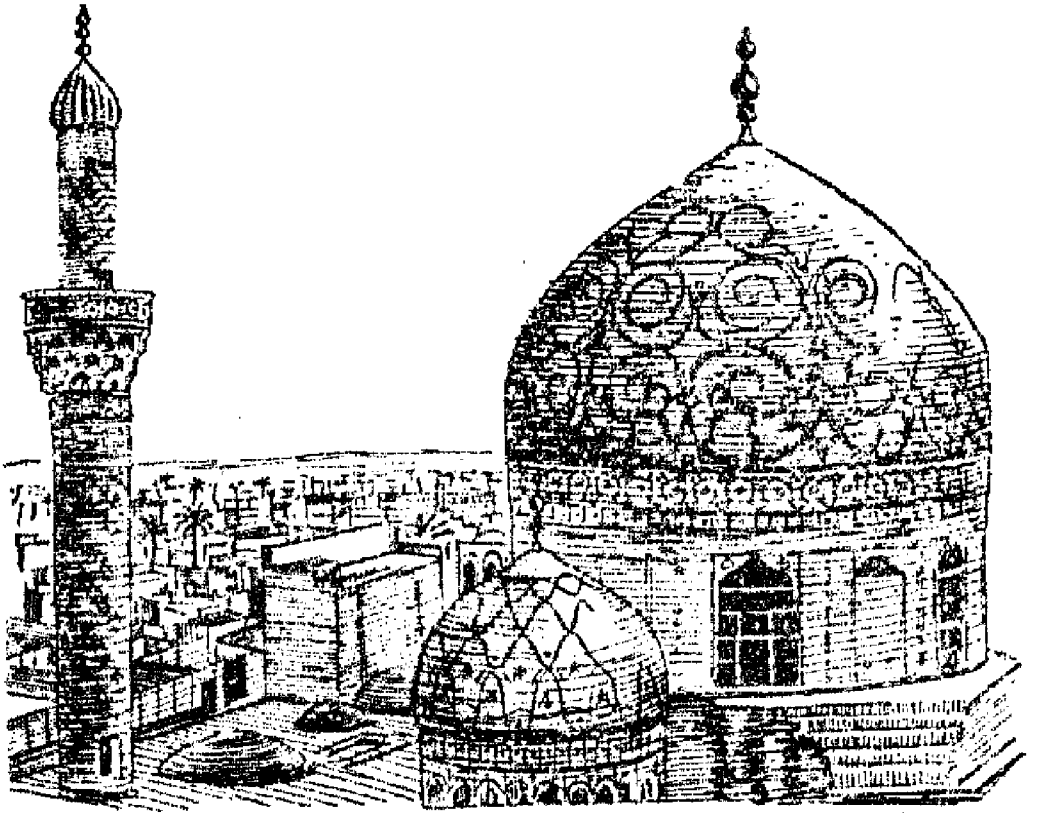

جامع الكاظمية – بغداد